غابات إيبنج

(١)

إنجلترا، لندن، غابات إيبنج . ١٩٧٩

«Strumming my pain with her fingers,

singing my life with his words,

killing me softly with his song»

أخـذ (هيـو) يـردد كلمـات هـذه الأغنيـة مـع صـوت (فرانـك سيناترا) الـذي كان يخـرج مـن المذيـاع ولكـن مذيـاع السـيارة توقـف فجـأة

نتشششش تشششش

-تبا، تبا، يا لك من سيارة لعينة»»

قالهـا (هيـو) متأففًـا، ثـم أخـذ يـضرب المذيـاع بقبضتـه بعنـف حـتى توقفـت السـيارة تمامًـا عـن السـير..

حـاول مـرارًا إعـادة تشـغيل السـيارة ولكـن دون جـدوى، أمـا المذيـاع فلقـد كان مـازال يعمـل ممـا زاد مـن حيرتـه وكان يخـرج منـه أصـوات غريبـة كصـوت الطقطقـة.

سـكت للحظـات وهـو يسـتمع ويحـاول أن يفهـم مـا يحـدث حوله، ولمـا بدأ الخـوف يطـرق أبـواب قلبـه قـرر الـنزول مـن سـيارته ربما يجـد من يسـاعده.

نـزل منهـا وأشـعل سـيجارًا وهـو ينظـر حولـه في ضيـق.. كانـت مسـاحات شاسـعة مـن الأشـجار تقـف عـلى جانـبي الطريـق غـير عابئـة بغضبـه.

انتظـر قرابـة النصـف سـاعة مـرور أي سـيارة مـن هـذا الطريـق لتسـاعده في إصـلاح سـيارته ولكنـه فقـد الأمـل.. أشـعل سـيجارة أخـرى، وأخـذ يـركل السـيارة بعنـف ويسـب ويلعـن وهـو ينظـر لسـاعته ويقـول غاضبًـا

«سـأتأخر عـن مقابلـة العمـل، سـأقوم باسـتبادلك أيتهـا الخـردة اللعينـة عنـد أول راتـب»

ركلها مرة أخرى وهو يردد في يأس

«هذا إذا حصلت على وظيفة من الأساس»

«اللعنة، اللعنة، اللعنة على الجميع»

قالهـا صارخًـا حـتى تـرددت صـدى تلـك الكلمـات أنحـاء المـكان، دهـس سـيجارته في غضـب وهـو يـركل الأرض بعنـف حـتى كادت الأرض أن تنفجـر مـن تحـت قدميـه، ثـم تحركـت السـيارة وحدهـا وانحـدرت إلى تـل داخـل الغابـة، أخـذ يركـض خلفهـا ويناديهـا قائـلا :

«انتظـري أيتهـا اللعينـة .. أتظنـين أنـك هاربـة مـني بفعلتـك هـذه؟! سأوسـعك ضربًـا أيتهـا اللعينـة»

اصطدمت سيارته بشجرة داخل الغابة وتوقفت عن السير. فوقف بعيدا عنها قليلا لكي يلتقط أنفاسه، أحنى ظهره وأسند يده على ركبتيه في محاولة لجمع أنفاسه التي تبعثرت داخل الغابة وهو يركض خلف سيارته.

ابتسم مستهزئًا وقال :

«يا لحظي العثر، اللعنة» ثم بصق على الأرض.

بخطوات واسعة اتجه ناحية سيارته حتى وصل إليها، ربت عليها وقال بصوت حان :

«لا تخذليني يا صغيرتي، فأنا بحاجة إليك، لا تكوني مثل صاحب العمل الذي طردني منذ يومين ولا مثل (ماري) التي خانتني مع صديقي، أرجوك فأنا بحاجة إليك»

كان يتحدث مع سيارته بشيء من الجنون ولكنه توقف عن الكلام حينما سمع صوت خلفه، فأجفل ونظر حوله ولكنه لم يرَ شيئا.. كانت الرؤية قاتمة بعض الشيء فعلى الرغم من أن الوقت لا زال بعد الظهيرة، ولكن ضخامة الأشجار بالغابة وتفرعها حجب نور الشمس الساطع للدخول إلى هذه المنطقة فكان الظلام يغلق أبوابه أمام أي نور قادم من السماء.

سرت قشعريرة غير مبررة داخل جسده وانتشرت حتى انتصب شعر رأسه فلقد أحس بالخوف ينتشر ويسيطر على قلبه، خوف لا يعرف له سبب، وكأن هناك طاقة في ذلك المكان تقذف الرعب داخل القلوب.

سمع صوت حفيف الاشجار يصدر من المذياع ومازالت تلك الطقطقة مستمرة فقرر الابتعاد والعودة حيث كان، فلربما إذا انتظر أكثر ستمر المساعدة من ذلك الطريق.

بـدأ بالتحـرك ولكنـه شـعر بخطـوات ثقيلـة تتحـرك خلفـه، لـم ينظـر ولكنـه أسرع خطـاه فتسـارعت الخطـوات مـن ورائـه..

ركـض بسرعـة دون وجهـة محـددة، اتجـه يمينًـا ويسـارًا. ثـم يمينًـا مـرة أخـرى، أخـذ يجـري ويلهـث، كان كل تفكـيره أن يبتعـد مـن هـذا المـكان، كان يريـد الفـرار وكأن المـوت يطـارده فـأسرع خطـاه أكـثر حـتى وجـد نفسـه في نفـس النقطـة الـتي هـرب منهـا.. وجـد نفسـه وقـد عـاد مـرة ثانيـة إلى سـيارته وكأنـه كان يـدور حـول نفسـه.

وقـف قليـلا ينظـر حولـه، تمـنى لـو أن لـه ألـف عـين حـول رأسـه لـكي يسـتطيع أن يـرى مـن يتربـص بـه، فلقـد سـمع صوتـاً بـين الأشـجار، صـوت حشـائش تتهشـم تحـت أقـدام شيء مـا، وكلمـا تعالـت تلـك الأصـوات تأكـد أن الخطـر قـد اقـترب، ربمـا كان قـاب قوسـين أو أدنى منـه، نفـس ذلـك الصـوت كان يصـدر مـن مذيـاع السـيارة.

«ربمـا هـذا حيـوان مفـترس يتجـول هنـا» تـرددت تلـك العبـارات داخـل عقلـه، كان يحـاول أن يطمـئن نفسـه، ولكنـه قـد سـلب الطمأنينـة مـن داخلـه عندمـا فكـر أن هـذا الحيـوان سـيلتهمه عمـا قريـب دون تـردد.

ولكنـه وجدهـا تخـرج مـن بـين الأشـجار، تمـشي ببطـئ بخطـوات تشـبه خطـوات المـوتى، شـعرها منسـدل عـلى وجههـا، ولكنـه يظهـر ملامحهـا أكـثر ممـا يخفيهـا، بشرتهـا شـاحبة شـحوب غريـب يثـير الذعـر في النفـس، شـعور بعـدم الراحـة، حـتى أنـه تمـنى لـو قفـز ذلـك الحيـوان المفـترس الـذي كان يختـبيء في مخيلتـه ليصبـح حقيقـة بـدلاً مـن تلـك الفتـاة المريبـة.

كان متسـمرًا في مكانـه لسـبب يجهله،ولـم يسـتطع الحـراك وكأن قدميـه قـد لصقـت في الأرض.

اقتربت منه أكثر ثم وقفت أمامه،، تنظر له بعينين خضراوتين، عينين لم يكن للبياض مكان فيهما فالخضار كان يستحوذ عليهما بالكامل،، لونه يشبه أوراق الشجر التي تحيط بهما.

ابتلع لعابه في صعوبة بالغة وهو ينظر إليها وقال بصوت متحشرج

«هل .. هلل ..هل أنت تائهة؟!»

لم ترد عليه، ولكنها كانت تقترب منه أكثر بخطوات مريبة.. حاول الصراخ، ولكنه لم يستطع .. حاول الهرب لكنه عجز أن يخطو خطوة واحدة، فقد كان كمن سُلبت إرادته..

وكلما اقتربت كانت رائحة الموت تنتشر في المكان حتى كاد أن يغشى عليه..

كانت قد اقتربت منه تمامًا وجهها ملاصقاً لوجهه، استطاع أن يرى لون وجهها وجسدها الذي أصبح يشبه لون سيقان الأشجار ويديها مثل فروعه..

ثم فتحت فمها على مصراعيه وأطلقت صرخة مدوية مؤلمة كادت أن تهشم عظامه.. شعر بقلبه يعتصر داخل صدره.. الموت يقترب منه يشعر به يجري مجرى الدم في عروقه..

حاول تلاوة بعد الصلوات، ولكن لسانه رفض أن يتحرك حتى قلبه لم يكن يحفظ شيئًا من تلك الصلوات فقد كانت آخر مرة زار فيها الكنيسة كان عمره ٧ سنوات..

كانت لاتزال تصرخ .. شعر بصراخها يلتف حول عنقه كالأفعى ويخنقه..

اهتزت الأشجار رغم عدم وجود رياح وتحركت أغصان الشجرة التي كان يقف بجوارها بعنف، نظر في رعب لأعلى حتى وجدهم..

***

(٢)

منذ أسبوعين

«افتحي يا ماري قلت لك افتحي»

كانت ماري مذعورة بفعل طرقات (هيو) العنيفة على باب شقتها، كانت مترددة وحاولت إخفاء وجودها، لكنه قال بصوت عال :

«أعرف أنك هنا.. افتحي وإلا كسرت الباب»

فتحت (ماري) الباب، ولكنها كانت تقف أمامه لكي لا يدخل وقالت وهي خائفة

«ماذا تريد مني؟!»

دفعها داخل المنزل وأغلق الباب بقوة بقدمه، وقال لها وعيناه يتطاير منهما الشرار:

«أتخونيني يا (ماري) ؟! لماذا تخونيني يا (ماري) لماذا ؟! ومع من؟! مع أعز صديق لي؟!»

كان (هيو) يصرخ في وجه ماري بتلك الكلمات ويتقدم نحوها وكانت تبتعد عنه في خوف شديد وقالت :

«مالذي تقوله يا (هيو)؟ هل جُننت؟!!»

«لقد رأيتكما بعيناي تلك وهو يحتضنك في قارعة الطريق ..هل ستنكرين؟!» قالها وهو يشير تجاه عينيه بعنف

استجمعت (ماري) قوتها ووقفت وصاحت في وجهه قائلةً

«أنت مجنون بالفعل .. لقد قلت لك مرارًا أنني لا أريد البقاء معك واتفقنا على الانفصال.. لقد انفصلت عنك منذ شهرين أيها المجنون .. أما عن صديقك (دايفيد) فلقد كان يواسيني بعدما علم بخبر انفصالنا ولم أتحدث معه منذ ذلك الحين»

دفع (هيو) (ماري) بقوة حتى كادت أن تسقط أرضًا وقال في غضب واضح

« وأنا لا أريد الانفصال.. قرار الانفصال في يدي أنا وحدي»

«أنا أكرهك، أكرهك» قالتها باكية

صفعها على وجهها مرارًا ولم تملك سوى الصراخ ألمًا، فلطالما كان يضربها ويؤذيها جسديًا ولم تملك سوى الصراخ فقط، كانت تضعف أمام غضبه، فالضعف هو إرثها الوحيد في الحياة، ومن حسن الحظ أنه لا يوجد وريث بعدها.

وضع يده على فمها في محاولة لمنع صراخها.. حاولت الاعتراض كانت تركل بقدميها كالطير الذي تم ذبحه في محاولة بائسة للتنفس.

شخصت عيناها فلمعت عيناه في شغف غريب، ثم أوقعها أرضًا وضغط بكف يده على رقبتها حتى لفظت أنفاسها الأخيرة.

جلس بجوارها وأشعل سيجارًا وقال بصوت منخفض وهو يملس على شعرها المتموج

«أنا أحبك يا (ماري)، لماذا جرحت قلبي يا ماري، لماذا؟!!»

طبع قبلة حانية على جبينها، ثم قام وفتح زجاجة جعة وتجرع منها، ثم سكب الباقي على جثتها الملقاة على الأرض وركلها في صدرها وصرخ

«ولكنك خائنة، خائنة»

***

اهتزت الأشجار رغم عدم وجود رياح وتحركت أغصان الشجرة التي كان يقف بجوارها بعنف، نظر في رعب لأعلى حتى وجدهم.

كانت أغصان الشجر تتدلى منها رؤوس بشرية مثل الثمار الذي حان وقت حصاده، ثم ابتسمت تلك الرؤوس لتكشف عن أسنان مدببة كأسنان المنشار، تدلت الأغصان حتى لامست الأرض ووقفوا جميعًا أمامه، جسدهم يشبه سيقان الأشجار تمامًا مثل الفتاة التي تقف أمامه.

سمع ضحكات هيستيرية تملأ المكان حوله فارتجت جدران قلبه حتى كادت أن تتساقط.

كانوا يقتربون منه ويلتفوا حوله، وصوت الحفيف يعلو من بين أوراقهم رغم عدم وجود رياح تحركها، صوت مخيف كملامحهم، فازداد الرعب في قلبه أكثر ..

لاحظ (هيو) أن هناك جرحًا في قدمه ربما أصيب به أثناء عدوه خلف سيارته ولاحظ أن الدماء التي تسيل تمتصها جذوع هذه المخلوقات التي أمامه وكأنهم كانوا متعطشين لدمائه..

قاموا بضربه بأيديهم التي تشبه فروع الأشجار فنزلت الضربات على جسده كالسوط .

..تفتّح جرح تلو الآخر فلمعت أعينهم الخضراء فانقضوا عليه بأسنانهم جميعًا فخر مغشيًا عليه..

***

أفاق (هيو)، أخذ شهيقًا عميقًا كمن عاد من الموت لتوه، نظر حوله في جنون، وجد نفسه ملقيًا على سريره في حجرته المعتادة.. تنفس الصعداء قال بصوت خافت :

«إنه كابوس، حمدًا لله إنه كابوس»

كان يتحسس جسده كالمجنون يريد التأكد أنه فعلا بخير خاصة أن جسده بالفعل يؤلمه، قام من على سريره ونظر في المرآة ليتأكد أنه لا توجد أي جروح تملأ جسده، خلع ملابسه وأخذ ينظر للمرآة ويدير ظهره حتى تأكد أن جسده خال من الجروح تمامًا.

نظر عبر النافذة وجد سيارته تقبع مكانها منتظرة إياه أن يديرها، ثم نظر في ساعته ووجدها التاسعة صباحًا

«سأتأخر على مقابلة العمل» قالها وهو يرتدي ملابسه

قرر أن يسلك طريقًا آخر غير الذي كان سيسلكه اليوم فربما الكابوس الذي حلم به كان نذير شؤم له

فأدار سيارته وأدار المذياع فسمع أغنيته المفضلة مرة ثانية

«Strumming my pain with his fingers,

singing my life with his words,

killing me softly with his song»

كان يغني بصوت عالٍ ويسقف بيديه في سعادة بالغة، نظر للمرآة لكي يكشف الطريق خلفه، ولكنه لمح شيئًا غريبًا.

لمح أن عيناه البنيتين قد تحولتا إلى اللون الأخضر، توقف عن الغناء وأطفأ المذياع، وظل ينظر إلى المرآة متعجبًا حتى كاد أن يصطدم بسيارة كانت أمامه

فقرر أن لا ينظر للمرآة وكأنه بذلك القرار سيمنعهما من التحول إلى اللون الأخضر

مرة أخرى واصل قيادة السيارة، ولكن يداه كانت ترتجفان خلف عجلة القيادة من الخوف، نظر عبر النافذة فلاحظ أن الأشجار تميل تجاهه عندما تمر سيارته بجانبها ويسمع حفيف أوراقها المخيف، وكأن الأشجار تتحدث معه وتناديه، حتى أنه ظن أنه يسمع أنين وصراخ بعضها والبعض الآخر يهتف باسمه بشكل مخيف.

توتر (هيو) قليلا، ولكنه ظل يردد كلمة : «أنا أتخيل هذا، أنا أتخيل هذا» مرارًا وتكرارًا في عقله حتى توقفت السيارة فجأة عن العمل.

نظر حوله.. إنه يحفظ هذا المكان عن ظهر قلب .. هذا المكان قد دفن فيه (ماري) بعدما قتلها

حاول أن يدير السيارة مرارًا، ولكنها أبت أن تستجيب. «الحلم يتكرر وسيصبح حقيقة» هكذا فكر

نزل من السيارة وقلبه يرتعش خوفا.. حاول إصلاحها وعندما فشل ركلها بقدمه مرارًا حتى جرحت قدمه.. رفع سرواله قليلا وكشف عن جرحه، لقد جُرح في نفس المكان!!

«هل كان كابوسًا حقًا أم ماذا ؟!!» فكر في هذا السؤال حتى استوقفه شيء غريب، فقد لاحظ أن جلده ينكمش ولونه يتغير وصار يشبه لون جذع الشجر

مشى بصعوبة تجاه المكان الذي دفن فيه (ماري) فقد كان يشعر بأن جسده يتصلب ليصبح مثل الخشب.

وقف أمام قبرها، ثم نطق بصعوبة وقال بصوت متحشرج :

«لقد دعوت الرب أن يسامحك يا (ماري)، فليسامحك أيتها اللعينة الخائنة»

سالت دماؤه من جرح قدمه على قبر ماري فشعر بشيء يلتف حولها نظر لأسفل فوجد غصنا يتلوى ويتسلق جسده، حاول بصعوبة إبعاده، صرخ ولكن الغصن التف حول فمه فأخرسه.. كان يتلوى بكل ما أوتي من قوة، ثم رفعه الغصن ولطمه على الأرض بقوة، ثم جذبه غصن الشجرة لباطن الأرض، وصار (هيو) جذرًا لشجرة في غابات إيبنج الملعونة*

-تمت-

ملحوظة:

*غابات إيبنج الملعونة: هناك العديد من الغابات حول العالم التي كثرت عنها الأقاويل، ومن ضمنها غابات إيبنج فبعض من الذين دخلوا تلك الغابات قالوا إنهم سمعوا صوت صراخ يصدر من بين أشجارها، والبعض الآخر يقول إنهم كانوا يروا بعض الأشباح تتجول هناك وأن سيارتهم كانت تتوقف فجأة في منحدراتها

هبه عبد الواجد لبيب